على الاردن. وبعد أن أشرفت على الانتهاء من احتلال سيناء، غزت القدس والضفة الفلسطينية وقطاع غزة. ثم ركّزت هجومها على الجولان السورية. وهكذا، جرت وقائع حرب العام ١٩٦٧ وكأنها ثلاث حروب في ستة أيام، استغلت فيها اسرائيل القتال على الخطوط الداخلية أقصى استغلال.

٣ ـ وفي حرب العام ١٩٧٣، اضطرت اسرائيل الى القتال على الجبهتين المصرية والسورية في وقت واحد، وهو ما كاد يودي بها الى الهزيمة. وقد حدث، في ذلك الحين، أن استغلت القوات الاسرائيلية «الوقفة التعبوية» في سيناء، فاستفردت بالجبهة السورية، ثم ارتدت بثقلها الى الجبهة المصرية لتستفرد بها.

## ثالثاً ـ التفوق والميزان

يمثل التفوق المحصلة النهائية لموازين القوى بين الاطراف المتصارعة؛ لذا فهو يتأثر بجميع العناصر الكمية والنوعية الداخلة في حساب تلك الموازين. وقد تبدو معادلة التفوق، الناجمة عن حساب موازين القوى، بسيطة في تركيبها، وتدفع الى الاعتقاد بأن التفوق اذا ما تحقق لطرف من أطراف الصراع فانه بالغ النصر لا محالة، كما تغري بعض أهل السياسة والاعلام بامكان التنبؤ بنتائج الحرب قبل اندلاعها، واعلان حتمية النصر قبل ان يبدأ القتال، الأمر الذي يحوّل الحرب الى عمل عبثي ما دامت نتيجته معروفة سلفاً. بيد ان جوهر المعادلة أعقد بكثير من ظاهرها الساذج، نظراً الى تعدّد أشكال التفوّق، وتنوع عوامله، وتباين منابعه، وعدم ثبات موازين القوى وامكانية تحولها بشكل يجعل التفوق قابلاً للانتقال من طرف الى آخر، بالرغم من التفوق الكمي والنوعي الذي يحوزه أحد الطرفين، بما يجعل غلبته على خصمه حتمية في الحساب المجرد الظاهري لموازين القوى. ان العامل الانساني، أي ادارة الحرب، سواء في التمهيد لها أو في أثنائها، يؤدي دوراً جذرياً ومؤثراً في تناقل التفوق من طرف الى آخر، وبالعكس. وقد يحدث ذلك في الحرب الواحدة غير مرة.

وليست «الكمية» و«النوعية» كلمتين يمكن أن تحلّ احداهما محل الاخرى، بل انهما تسيران في خطين شبه متوازيين، بحيث تكمل احداهما الاخرى. واذا كانت كلمة «الكمية» واضحة، ويمكن تقديرها بالارقام، كأعداد الجنود والدبابات والطائرات والمدافع والألوية والفرق، فان كلمة «النوعية» تنطوي على مجموعة من القيم والمفاهيم النسبية التي تحتاج، دوماً، الى الاستقصاء والسبر والاستكشاف والتقويم.

يتعامل ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي مع مفهوم الكمية والنوعية تعاملاً واسعاً وعميقاً. ومبعث هذا التعامل ذلك البون الشاسع في احصائيات القوى البشرية والاقتصادية بين كفتي الصراع. وهو ما دعا اسرائيل الى ان تستعيض عن النقص الكمي، سواء في القوة البشرية أو القوة السلاحية، بفارق نوعي ايجابي، تجسّد في ما يسمّى «التفوق النوعي» الذي تحرص اسرائيل على حيازته. ولقد قدّرت اسرائيل، بعد طول زمن، بأن هذا المفهوم ينطوي، الى جانب حسناته، على خطرين اثنين: اولهما، انه يفترض ان التفوّق النوعي الذي يملكه الجيش الاسرائيلي هو عنصر ثابت يمكن الحفاظ والاعتماد عليه زمناً غير منظور. وثانيهما، ان مقاربة كهذه تتجاهل التأثير الحاسم لعنصر الزمن على مسألة النوعية والكمية، ذلك ان التاريخ العسكري زاخر بالشواهد التي تثبت ان الكمية تنتصر أخيراً في الحروب الطويلة ـ وهي الحروب بالاسلحة التقليدية ـ ما لم تقابلها الكمية اللازمة ومعها النوعية اللازمة والكافية. ان مراجعة متأنية للكتاب الاسرائيلي: «الكمية والنوعية في الاستراتيجية الاسرائيلية»[١٣]، تبيّن مدارج القلق الذي يساور القيادات الاسرائيلية، وتُنبىء